



راء: يوسف

أعجبتني كثيراً رواية «تذكرتان إلى صفورية» لصاحبها سليم البيك. أتعقب هذا المؤلف منذ فترة كما لو كنت محققاً يعمل لصالح وكالة استخبارات، لم أحدد وجهتها بعد. لكن ما للاستخبارات وتعقبي هذا؟ محللو أحداثنا ليسوا بحاجة لكل هذه التعقيدات خاصة مع ما تتيحه منصات الشبكة التي ربطتنا في حبل أوله معروف ونهايته تصل بحبل رفيع إلى غرف الأقبية التي تعمي العيون بإضاءة الفلوريسنت الزرقاء التي لا تمت للنظافة بشيء. على أي حال ليست هذه كلماته الأولى التي تطيع على الورق وتغلف وتطيع في كتاب وتوزع، رحلته الإبداعية هذه سبقتها غيرها.

أنا لا أحب الجلوس في الصالون عندما أشرع في الكتابة، يا لها من شبكة سقيمة التي أسرق منها هذه اللحظات خط الانترنت المعفن. لماذا علي كل مرة أريد فيها الكتابة الذهاب إلى عريشة العائلة أو بكلمات أكثر لطفاً، المضافة. جلوسي هناك يعني أن الكل سيقوم بالاتصال بي ويقول لي "والله زين اللي لقطناك" يا زلمة أنت دينك وربك الشغل تعديت المليون خلص ارتزي في البيت. سأقوم بإخراج ملف إعدادات الوان الابتسامات الجاهزة سلفاً من جيبي.

أرسم ابتسامة زهرية حمراء أو أي لون على تدرج سلسلة الطيف وأرتزي. أجلس وهكذا سيحترق ما تبقى لي من نهار. تصل الساعة إلى منتصف الليل. أقوم بتقليب تطبيقات الصور في جهازي الغبي. لا أعرف لماذا حتى الآن لم يفهم الدرس ويقوم هو بهذه العملية عني. لماذا علي أن أقوم بالبحث المضمن كل ليلة من جديد عن مجموعة صور تسرد قصتي في هذا اليوم على الواتساب؟ هذه عملية لوغارثميمة معتادة على جهاز الاندرويد خاصتي. فليقم هو بالواجب اليومي. أقلب الصور تتكون لدي قصة تروي حكاية ناقة في صعيد مصر، أو عنزة على قمم مرتفعات حضرموت الشاهقة. أجمع عشر صور تروي قصة ربما تعيد ترتيب أفكارتي التي تعيش شتاتاً يومياً لا نهاية فيه. عن أي شتات تتحدث؟ قل تعيش اللجوء لتلمس مفردات الرواية أكثر، أين تلك اللباقة التي تعلمتها من مطبات حابتك.

هي رحلة إن صح التعبير، من مكان إلى الآخر، أنت الغريب في كل ما تحاول الاقتراب منه إلى أن تصل. ها هو أحدهم يتصل بي أنا قاعد فوق في الصالون من في الشق، أجيبه كما لو كنت مديناً له بحياتي؟ ما بعرف والله. ودك تجيبي؟ اتصلت فيك مرتين، قال لي أخوك أنك في المسرح. أخي لا يعرف الكذب له طريقاً، في حال وصولي البيت يقوم



بتسجيل رسالة صوتية وينقلها إلى جميع أصدقائي ها هو قد وصل. هل سيغضبون عندما أقترح عليهم قراءة هذه الجملة تحديداً؟ ربما. لكن الغضب سيكون مزودجاً لأنني لم أذكر أسماؤهم الواحد تلو الآخر، لأنني أستخدم وقائعي معهم إذن فلماذا لا يتعرف اليهم القراء كما تعرفوا سلفاً على اسمي المدون عند هذا لنص، إيش إنت ما بتشبع دعاية لاسمك، خلص اقرفتنا وأنت كل نهارك نشر نشر نشر. أنت ما بتلم الغسيل. من وده يلم كل اللي نشرته. ولا مركزن حد يسوي الشغل الصعب بدالك؟ أت بتيتي فلذة فؤادي قالت لي يابا، أصحابك في العريشة. آه أوك، إنهم اتصلوا بي حالاً سأذهب اليهم. ماذا لو أغلقت الهاتف حال وصولي البيت؟

لا أريد استقبال أي إنسان اليوم. هذا اليوم لي. كله لي. زعانفه لي. أوراقه المتناثرة لي. حبات رمله وقطرات برازه كلها لي. أستنشق عبير روائحه كلها أملؤها بكيس نايلون كبير وأضعه في الزاوية البارزة جداً في حقيبتني. أو في المكتبة. عن أي مكتبة نتحدث. منذ حماقتك الأخيرة التي قررت فيها الإتيان بالبلاي ستيشن، فما عادت المكتبة تعني شيئاً. تعال فوق في الصالون. هو يجيب لا يوجد واي فاي لو نزلت إلى العريشة سألقي متصلاً بالإنترنت. يابا هيو روح إرجع أكتب. لا يا بوي، فقط عند سماعه ضرب حوافري على الدرج سيتعرف إليها وبطمئن أنني أتيت، وهكذا يبدأ مسلسل تعيس. هذه إحدائياته: تعال انزل في العريشة. لن تخط الكلمات هذه الليلة على لوحة المفاتيح وستجف الأفكار من دماغ المعطوب أصلاً، سنقوم بجولة لا تتعدى الخمس دقائق على الجزيرة ومن ثم العربية إلى سكاي نيوز روسيا اليوم تي ار تي فرانس 24 عربي دي دبليو عربي بي بي سي عربي الإخبارية السورية بلقيس المسيرة الميادين المستقبل تردد قناة الاونورا العربية أصبحت تبت مسلسلات تركية، نقلا عن تي ار تي، هذه الأمسية يثون مسلسل السلطان عبد الحميد الثاني. نات جيو عربي. عودة على بدء على باقي القنوات الإسرائيلية. من حطنا ستكون فترة إعلانية، وهكذا سنقفز عن كل القنوات هذه. فقرة الإعلانات على الشاشات الإسرائيلية لا تنتهي. تعرف متى تبدأ لكنك لا تعرف متى تنتهي، بعد ست دقائق يدونون أنه تبقى ستون ثانية للانتهاء من الاعلانات تبدأ فقرة الترويج للبرامج والحلقات التي ستعرض هذا المساء ومن ثم يعاودون الكرة مجدداً إلى الإعلانات، حفظنا الدرس. لذلك نقوم بتبديل المحطة إلى أن نصل إلى القناة التي لا تعرف الإزعاج ولا تزعج بأي مضمون تقترحه لك كمشاهد.

إلا أن قناة البدوية مؤخراً أصبحت كباقي قريناتها من القنوات التي لا تعرف الكلل ولا الملل من تكرار إعلاناتها. مسلسلات بدوية قصصها معروفة ضمنا لا يوجد فيها أي عنصر مفاجئ ترعرعنا عليها وكبرنا عليها وبعد أن حفظناها



عن ظهر قلب نعيد مشاهدتها مجددا. لم أتساءل يوما لماذا نعيد الحماسة في كل جلسة لماذا لا نحفز فيها اذهاننا بشيء جديد. لماذا لا نقوم بالحفر وشق نفق جديد في إحدى حجرات عقلنا المتحجر؟ أيهما متحجر أكثر، لا أشك أنني متحجر أكثر من أي ديناصور يستقبل الزوار في كل معرض متنقل وينتهي. نضع الصوت على شبه صامت نشغل الواي فاي والكل يعيش في عالمه الخاص كل يضحك ويتسم على شيء لا يمت بالجلسة التي نقضيها معا بتاتا. أي نكتة تروقنا نقوم بنقلها إلى بعضنا البعض. بحياتك افتح الباب.

غيمة دخان ثقيلة تخرج كما لو أنها انتظرت على أحر من الجمر فتح الباب كي تلوذ بنفسها من المضافة. نفتح الباب يخرج الدخان نجدد بكرج القهوة السادة. ماء بارد، تجديد صحن الفاكهة والخضار، أي منا يجدد طرح السؤال إذا كان الكل متأكداً من أنه لا يشعر بالجوع. في حال أكد الجميع على شعوره بالجوع يقوم أحدنا بالاتصال بالبيتسا. ويبدأ كل منا يثبت أن البيتسا التي يطلب منها هي الأفضل على الإطلاق. بيتسا التقوى، لا يا راجل بيتسا البستان. هات. دومينوز. الأخوة. اكسبرس. ربحان. ربحان؟ بزيليكوم. يا زلمة خلص روح على البري وانهيئا. بدك ملك التوست؟ والله بقول لك الهجوم على إدلب مش رح يكون زي اللي قبله، هالمرة ناويين لك بييدوا الدواب قبل العباد ما رح يخلوا لك لا الأخضر ولا اليايس على بكره أبيهم، إبادة. هذه الحرب، إيش معنى الحرب؟

شايف إيش معناه الواحد ينكر النعمة ويدكها بإجره؟ اللي ما بيعرف يصون النعمة وما يشكر ربه عليها كذي بيصير فيه، وصبرك شويه الحبل على الجرار ومش مطوله النار تحرقنا. العرب مشغولة في بعض كل واحد بس يطفي الحريقة اللي بتاكل في جلابيته وما حد فاضي لا لسوريا ولا لإدلب. ورح نشوف الطنعرش نقطة تركية في إدلب كيف راح يتفرطن واحدة ورا الثانية. وروسيا ما فاتت حوض المتوسط عشان تعقد، هذه قاعدة وقاعدة بالحيل. لبنان على الدور وهيهم بدأوا من دروس الباليه وتعليم اللغة كلها بتبدأ ببريفت. بيقول لك كيري فتح على بيبي. أصلا ما في عمار بين الزلام هطول زمان زمان.

الحين بيلم له كمن قرش على كتابه الجديد. وحرمته عندها شركة الكاتشاب ووضع ممتاز. هات كاتشاب أحط على البيتسا. يلا تصبحو على خير ما ودنا سياسة. السياسة تياسة، تيعس من يقرب منها. قلت لي بتقرا كتاب البيك؟ اسكت والله طيبيت لك في كتابين أما إيش شمط. خسارة على الوقت. الحمدلله إنك مش ناقد تخيل تكون كاتب



ويقولوا لك أكتب نقد. استشراف. قراءة في مضمون. وتكتب الرواية شمط. إيش كاتب قبل كذي؟ "ليس عليك سوى الماء". "كرز، أو فاكهة حمراء للتشيزيك". "خطايا لاجئ". "قريباً "سيناريو"؟ قصدك "شارلوت وربما وميلاني"؟ مؤلم كم هي رقيقة هذه الرواية. مفرع كل هذا الهدوء الذي غلف أحداث الرواية التي لم تعرف لا الرقة ولا الهدوء على طول خط الإمارات سوريا فرنسا مرورا بدرب اللجوء التعيس ذاته. سرد يحمل قلباً وسع ساعات طوال على ظهر البوزيتيف والنيجاتيف، قراءة ممتعة، خاصة للقلوب الضعيفة من أقراني.

ماء: جوزيف

هات لي خيوط الخيل، اعزف واجعل الصوت يضرب أشجاننا على الساز الماكرة التي تتلأأ على ضفاف حوض المتوسط غير آبه بالحدود، كل الحدود. لكل جيل أغنيته الخاصة، هات الواوا جيب الواوا مثلاً؟ عن قصيدة هي الأقرب إلى قلبه مثال سجل أنا عربي إلى هنا باقون، ماذا عن لنا كانت طفلة تصنع غدها؟ فتحت باب سيارتي الأولى التي اقتنيتها مقابل جهاز سامسونغ غالكسي 3 اس. وأشغلت كاسيت سميح شقير بدأ الصوت يصدح بأغنية لي صديق من كردستان اسمه برور شفان. السليمانية جميلة أحتفظ لليوم بمجلة ناشيونال جيوغرافيك التي قمت بالاحتفاظ بها عنوة رغم أن موعد انتهاء مهلة إعاره المجلة قد انهى. المكتبة المدرسية أصلاً لا تمنح الحق في إعاره المجلات والمجلدات التي تنتمي إلى أجزاء موسوعية.

إلا أن أمينة المكتبة الأمينة الأقرب إلى قلبي من كل الهيئة التدريسية في حينه الذين كانوا يطشرون في وجوهنا المقررات المدرسية وبذهبون كما لو أن العالم على عتبة حرب عالمية وعليهم أن ينهوا كل ذلك سريعاً لأن الجدول الدراسي مكتظ، هناك امتحانات التوجيهي على الأبواب والكثير من الطلاب بحاجة إلى الحصول على شهاداتهم في أقرب وقت ممكن كي يتسنى لهم ترجمتها والطير عبر السحاب إلى أوروبا الشرقية كي يصبحوا أطباء. نريد العديد من الأطباء، الكثير منهم لا نهاية لهم. أينما تذهب في طريقهم تقابل طبيب. أنا لم أكن في عجلة من أمري لن يسفرني أحد إلى شرق رهط فما بالك بشرق الكتلة السوفياتية التي انتقلت إلى عملة اليورو الصعبة. لي صديق من



كردستان وكفى بها من نعمة. ليس للكردي والفلسطيني سوى الريح. اتفق العالم على جزئية واحدة أن لهذين الأحمقين لن تقوم قيامة، لن تحدث قيامة أرطغرل بصيغة كردية أو فلسطينية. إيش بتكتب يا ابوي؟ وظيفة. الحمد لله أنها ما طلبت مني أن أقسم على صدق قولي.

أحلف يابا أنك بتكتب وظيفة اللي بتأخذ عليها علامات، خاصة أن السيمانار الأخير اللي جنتنا فيه ما كتبت فيه ولا كلمة واحدة. كل مرة بنطلب منك فيها نطلع على المنتزه أو نسهر في تلة الحصان الحديدي اللي قبال بيت حانون شمال قطاع غزة بتجيب سيرة سيمانار الطين وإسّاع ما كتبت فيه كلمة شيء، بتمسك كتاب وأنا متأكدة إنه العلاقة بين اللي بتقراه وموضوع بحثك زي العلاقة بين قواعد اللغة وحصّة الزراعة اللي فيها قراطيس النابلون من ساحة المدرسة. ماذا عساي أن اقول عن «تذكرتان إلى صفورية». لقد أمسكتني بقوة في خضم مشروع مثير ملك بشدة ما تبقى لي من حواس إن تبقت لي كهذه بعد ساعات عمل التي لا تعترف بضعك الإرهاق. تركت كل شيء جانبا واستعدت عادتي المعهودة في القراءة. هي لحظات أقرب من التنسك أسميتها "نورانية" (نوربه، غجره).

مصدر التعبير جاء بعد إلحاحي على جدي وإصراري على جدتي عن أصل عائلتنا أو على القليل عائلة أخوالي. الإثنان قالوها بلا تفكير طويل ودون حرج. أنت نوري ابن نوري، عيلتكم كلها نور. ما كان منكم فايده، أولكم وآخركم زي بعض، بس عشان تكون متظمن. وصلت الفكرة استلمت الرسالة بأكملها، شكرا. غو فاك يورسيلف جدي العزيزان، أطال الله في عمريكما، وجعلكما ذخرا للإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. أن تمر بكل هذه التجارب التي تحمل العديد من اللحظات المتفائلة والحزن يخيم على حيز لا يعرف الحدود وأن تكتب تلك الكلمات بالكثير من الحب، ولا تبحث عن الاستعفاف لا من النقاد ولا من القراء، هي قوة الكاتب، تمسك زمام المبادرة من خلال طرقتك للحب دون التوسل إليه أو جعل نفسك رخيصا أمام عاصفة عاتية من الشغف.

العتبة قزاز والسلم نايلون نايلون. مريومتين ملفوفتين بورق عوصملي مخلوطات بعشب شامي من اللي بالي بالك ما يحرمني منه. إيش قاعد بتخبص؟ فكرة أن تضع القارئ في موقع الاحترام المتمثل بتقديره الحقيقي وليس مسح الجوخ المبتذل وعدم جعله أضحوكة هو سر الأسرار. لماذا نكره النقاد في عالمنا العربي؟ عالمنا العربي؟ يا لك من أبله. عن أي عالم عربي تحديدا؟ هل هو العالم ثنائي القطب الذي يتبع إلى المحور "رن" أو "زن". العالم العربي لا



يعرف استقطاب أيشع من هكذا استقطاب. رن أو زن ودونهما الطوفان، أو قل بوابة السماء، والرب الإله في عليائه يرانا تتقاذف بين جحيم رن وجهنم زن.

وتتبادل فيما بيننا بوسترات تعيسة على الحيطان المقابلة لبيوتنا أو حيطاننا الافتراضية. الخطاب الفلسطيني؟ هو فقط ضفة على قطاع على قدس؟ أين اللاجئيين؟ لاجئو العرب والغرب. اللاجئون المعولومون ماذا عنهم؟ قصصهم لا تفي بالعرض؟ أريد كوباً طازجاً من ليمونادا هشام كابد. عدسة جان شمعون ومي مصري كسرت؟ لا أحد يريد التحدث إلى عزة الحسن؟ جماعة السينما الفلسطينية فقدت صوتها مع رحيل مصطفى أبو علي؟ كل يوم نشيع الجنائز، ماذا يعني كل هذا. لكن ماذا عن نصيب صحراء النقب؟ عالقة تماما كاللحمة في حلق يابس. موقعها لا يكفي وهي على تقاطع القطاع بالضفة زد عليها الأردن وسيناء؟ إذن، ماذا يريد الفلسطيني بحق أبالسة الأرض وتحتها في الانفاق التجارية والهجومية معاً؟ هم لا يبحثون استعطافاً لا عربياً ولا عالمياً ولا حتى إقليمياً إذن ماذا نتظر من العالم؟

الفلسطينيون اليوم هم جزء أصيل من مكونات كل العالم بأسره. ضع لي يدك على أي بقعة في غوغل إيرث لتتعرف سويًا على الفلسطيني الصالح والفاقد هناك. كيف لنا أن نطرق باب العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين دون الحركة الصهيونية؟ هل تحولت الصهيونية إلى الوجه الآخر للفلسطينيين؟ المرحلة الأولى من ذاك الوجه جهزت له أفضل العقول لإبادته وتم ذلك فعلا في الحقبة النازية. المرحلة الثانية إبادة للفلسطينيين. وهكذا بعد كل هذه التجاذبات ننتهي بمصالحة تاريخية. لكن ماذا عن كل القرابين التي تم تقديمها على مذبح الأرض المقدسة حتى نقش هذه الكلمات؟ قسطنطين زريق بارك الله فيه قام بإجزاء معروف لنا من خلال نحت كلمة نكبة في أعقاب الهزيمة العربية الكبرى التي تمخضت عن ولادة إسرائيل وفي ذكرى نشأتها السبعين قامت الولايات المتحدة بنقل سفارتها من تل ابيب إلى القدس.

الغزيون يجتهدون في معركة هي أشبه بالعبثية في ظل راهن عربي متمزق بامتياز، إعادة فلسطين لافتتاحيات النشرات الاخبارية ماذا يعني؟ كانت على مدار سبع عقود في افتتاحيات الأخبار العربية والعالمية ماذا حصل؟ أصلاً، فلسطين هي القماش المبتلة (دما؟ بولا؟ منيا؟) التي تتستر بها الشعوب. من السهل القول إن المشاكل هناك في الضفة المحتلة والقطاع المحاصر وهذا المخيم على اتساع رقعة مخيمات اللاجئيين الفلسطينيين وليس هنا. هل ترون



مشاكلهم التي لا قاع لها؟ احمداوا الله أنكم هنا تنعمون بعيش رغيد لا قتل ولا موت فيه لا مقاطعة ولا ممانعة تعيننا المشاكل هناك. فلتباركوا الرب على ما أنتم عليه يا شعبنا الأبى.

قولوا نعم. لا يهم إن كانت النسبة 99.7% أو 99.8% ما يهم أنكم هنا، وليس هناك. هل تودون الموت هناك. إذن احرصوا إلى أبد الآبدين قل مؤبدات ثلاث. لا أفهم جلامش، الالياذة، الشاهنامه ولا حتى أبو زيد الهلالي. يعني اللي ماتوا غاد أحط عليهم اكس. يا سيدي أنا مش مؤرخ روح شوف باختين واحجز معه جلسة تخزين قات واحكوا عن الكل. أنا ملاحمي تكون الأضحية بلدي درجة أولى لا تجيب لي وحياة دينك الأضحية الاسترالية، اللحم تبعهم لا طعم ولا لون ولا ريحه له ما بقبله خلاص. هات روماني بعيننا الله. علامها الرومانية ما شاء الله عليها نعمة كريم. مسيرات العودة فعلا تمكنت من إعادة اعتبار حق العودة من خلال مسيرات راح جل ضحاياها من أهالي المخيمات المتاخمة للتجمعات الإسرائيلية التي تكون غلافا سميكا حول غزة. الهدية لم يطل انتظارها طويلا عند إطلاق رصاصة الرمية الأخيرة في دماغ اللاجئ، في الأمس كانت القدس، ما أكثرها رصاصات الرحمة هذه الايام. لماذا تحكّني كف يدي اليمنى؟ هل هو اقتراب وصول المعاش الشهري؟ أو فتح دفتر الشيكات كي لا أقرب من الفرع المركزي للمصرف في بئر السبع؟

زوجتي تحبني، أو لنقل تشفق علي تعرف ماذا أريد، تدرك جيدا ماذا يعني أن أذهب وحدي ومقابلة كاترينا في البنك هذا يعني أنني سأذهب لاقتناء ملابس مستعملة. هي لا تحب هذه العادة. يا زلمة واحد عنده جرب واحد ميت إيش إحنا مقطوعين؟ قديش حقه البنطلون اللي بتلبسه من الأحد للأحد. أوصلو أعادت 800 الف لاجئ فلسطيني إلى موطنهم. موطنهم أين تحديدا؟ من أين أتيت بهذا الرقم، أنت تعرف عما تتفوه به أصلا؟ ما أعرفه أن هذا هو العدد الذي أجمع عليه بين رويترز لندن وفرانس برس باريس على أنه عدد اللاجئين الذي أعقب إنشاء إسرائيل، وبهذا العدد تم إغلاق صفحة اللاجئين في رصاصة الرحمة، رصاصة في الدماغ هي إذن؟ باين إنك بتفصص براسي بزر بطيخ.

الكاتب: كايد أبو الطيف